السّرد والسّردية والسّرديات

جيرار – دوني فارسي

ترجمة: أ. د. سيدي محمَّد بن مالك *

المركز الجامعي بمغنية (الجزائر)

benma_1971@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2021 / 04 / 03	2021 / 06 / 22	2021 / 10 / 28

مُلخّص البحث

السّرد والسّردية والسّرديات؛ ثلاثة مصطلحات مفاتيح تؤسِّس، إلى جانب مصطلحات أخرى، علمَ المحكيّ. وقد حاولنا ترجمتها من اللّغة الفرنسيَّة إلى اللّغة العربيَّة، لأهميَّتها في مُقارَبة المحكيّ الأدبيّ (والمحكيّ غير الأدبيّ) من جهةٍ، ولتعريف القارئ العربيّ باللَّبْس الذي تبعث عليه دوالها وتصوُّراتها اصْطِناعًا في اللّغة – المصدر من جهةٍ أخرى؛ فإذا كان مصطلح السّرد لم يعرف، في السّرديات الغربيَّة، إجماعًا من لدن علماء السّرد، بسبَب تداخُل مفهومه مع مفهوم مصطلح المحكيّ، فإنّ مصطلحيْ السّردية والسّرديات لم يحظيا، هما الآخران، باتّفاق أولئك العلماء في تلك السّردياتِ نفسِها، لتعدُّد تعريفاتهما القائم على اختلاف المدارس والنّظريات والاتّجاهات السّردانية. ومن ثمّ، فإنّ السّرديات الغربيَّة لم تسلمْ من الاضطراب المصطلحيّ الذي اكتنف بعضًا، على الأقلّ، من مصطلحاتها ومقولاتها الإجرائيَّة على مستوى التّصوُّرات، وهو الاضطراب الذي شهدته السّرديات العربيَّة أيضًا، ولكنْ على مستوى الأشكال، حيث استغرقها التّفكير في دوال المُكافئات المصطلحيَّة، حتّى صار تعدُّدُ صُوَرِ مُقابِلاتِ المصطلح السّردي – السّرداني الغربيّ الواحد سمة كلّ مُؤلَّفٍ عربيٍّ يروم الاهتداء بمُنجَزات السّرديات الغربيَّة تمثُّلًا ووصْفًا وتطبيقًا.

الكلمات المفاتيح: سرد – سرديّة – سرديّات.

Abstract

Narration, narrativity and narratology; three key terms that establish, along with other terms, the science of narrative. We have tried to translate it from the french language into the arabic language, because of its importance in approaching the literary narrative (and non-literary narrative) on the one hand, and to make known the arab reader to the confusion that its signifiers and concepts created in the language - source on the other hand. If the term narration was not known, in western narratology, by consensus among narratologists, due to the overlap of its concept with the concept of the term narrative, then the two terms narrativity and narratology did not enjoy the other two, with the agreement of those narratologists in those same narratology,

* الاسم واللقب والبريد الإلكتروني: سيدي محمَّد بن مالك - benma_1971@yahoo.fr

due to the multiplicity of their definitions based on the difference between narratological schools, theories and trends. Hence, western narratology were not spared from the terminological confusion that surrounded some, at least, of their terms and procedural denominations at the level of concepts, which is the confusion in arab narratology as well, but on the level of forms, where it took her to think about the signifiers of terminological equivalents, until it became a multiplicity the forms of the equivalents of the one narrative-narratology -western term is the trait of any arabic book aiming to be guided by the achievements of western narratology as perception, description and application .
Keywords: Narration – Narrativity – Narratology.

السّرد

لنْ نتفاجَأ إذا أخْلط الحسّ السليم بين السّرد (La narration) والمحكيّ (Le récit). أمّا أنْ تقدِّمهما اللّغة النّقدية المعاصِرة، أحيانًا، بالأسلوب نفسه، فإنّه لا يسعُنا إلّا أن نأسَف، مع الإشارة إلى أنّ هذا الخلْط ينشأ من الإبْدال. في الواقع، ما دام أنّ المحكيّ يُوظَّف بمعنى الحكاية (L'histoire) – وهو الشّائع كثيرًا[1] –، فإنّ كلّ ما تبقّى هو ارتضاء السّرد. هذا ما يضطلع به بارت (Barthes)[2] وجماعة البلاغة لليج (Liège) الذين يُعنوِنون "صُوَر السّرد" للحديث عن تلك الصّور التي تتعلَّق بالمحكيّ[3]. إنّ الأشدّ خطورةً، في نظر السّرديات (La narratologie)، بالمعنى الدّقيق (stricto sensu)، هو بعض التّأويلات المتسلِّلة خلسةً إلى التّحليل السّيميائي ومُؤلَّفه المرجعيّ. لذلك، حين نقرأ مقالًا ما، يبدو أنّ المرويَّ له والرّواة يصدُرون عن التّلفُّظ، بينما يصبح السّرد مُرادِفًا للملفوظ[4].

يلتقي اهتمام جينيت بتصوُّر السّرد مرّتيْن على الأقلّ؛ الأولى، حين يتمّ تنقيح التّمييز القديم لمارمونتيل (Marmontel): السّرد يعرض الوقائع، والوصف يعرض الأشياء، وهو ما يجعل ذلك التّمييز بديلًا يُهَيْكِلُ الخطاب الرّوائي. وضمن هذه الشّروط، فإنّ السّرد ليس مُمارَسةً بقدر ما هو ضربٌ من المحكيّ ينتج عن تلك الممارَسة ويُؤكِّدها. وهو ما يُمكِننا قوله كما فعل بارت: "... يتحدَّد الخطاب بالفعل الذي يُصدِره..."[5]. والثّانية، حين يتمّ الاعتناء، في صور III، بتعريف السّرد، وإهماله بوصفه حدثًا خطابيًا، وعدّه، من ثمّ، فعلًا مُنتِجًا. يستحيل، بطبيعة الحال، إلقاء اللّوم على جينيت (Genette) بسبب اكتفائه بالرّواية، غير أنّ الحقيقة تكمن في أنّ المسرح التّقليدي يستخدم، هو أيضًا، السّرد (المتضمَّن في الحكاية (Intradiégétique) دون شكّ).

بمُجرَّد استبعاد (على أساس منهجيّ) القائميْن بالعمل (Acteurs)، وهما الرّاوي والمرويّ له، ينبغي تحديد الطّرائق (Les modalités) الخاصّة بالسّرد، ولاسيَّما تفاصيله الفضائيَّة والزّمنية. أين وفي أيّ ظروف يتمّ إنتاج المحكيّ؟ يتساءل عالِم السّرد الحائر جدًّا، ولسبَبٍ وجيهٍ. في الواقع، وباستثناء الحالات الخاصّة (السّرد المتضمَّن في الحكاية أو الأدب الشّفوي)، نادرًا ما يكون مكان السّرد "مُحدَّدًا، كما لا يكون، إذا جاز القول، ملائمًا أبدًا..."[6]. والسّبَب هو أنّ الاهتمام ينصبّ، في المقام الأوّل، على مُقتضيات التّخصيص الزّمني. أمّا زمن السّرد، فهناك أحد أمريْن؛ إمّا أنّه يتمّ الإشارة إليه ضمنيًّا، أو إنّه – وهو ما يتكرَّر كثيرًا – لا يكون مُناسِبًا إلّا في علاقته مع زمن الحكاية، ذلك الذي يكون مُستنْبَطًا من علامات المحكيّ اللّفظية (والظّرفية).

يُميِّز المتخصِّص في هذا المجال بين أربع حالات للصّورة، حيث يكون بعضها قابلًا للتّعديل بدرجةٍ كبيرةٍ: السّرد اللّاحق (الذي يُمكِن أن يكون كذلك إلى حدٍّ ما، والذي يُغيِّر علاقته مع الحكاية حسب التّلفُّظ الذي يُصدِره)، والسّرد السّابق (الذي لا يكون مُثْبَتًا إلّا إذا حدثت الحكاية)، والسّرد المتزامِن (لكنّ حاضِرَ المحكيّ

مُلتبِس وغامض)، والسّرد المقحَم (الرّواية التّراسُلية). أخيرًا، ونظرًا لأنّ خاصيَّة السّرد قد شكَّلت موضوعًا لإجراءات التّقسيم إلى طبقات، فإنّه يجب التّذكير أنّ مستوى السّرد مُختلفٌ، تمامًا، عن مستوى الحكاية (La diégèse). إنّ السّرد الأوّلي ليس مُتضمَّنا في الحكاية (Extradiégétique) بالنّظر إلى الحكاية التي تُنْتِجه؛ فإذا كانت هذه الحكايةُ نفسُها محلّ سردٍ (مُتضمَّن في الحكاية إذًا)، فإنّ النّتيجة ستكون حكاية واصِفة (Métadiégèse)، وهو مستوى لا يُمنَع فيه القصّ...

السّردية

ما هي الشّروط اللّازِمة سلفًا والتي لا يُمكِن الاستغناء عنها لكيْ يكونَ موضوعٌ ما سرديًّا؟ هل هناك ثبات وكنْه أو جوهر في السّردي؟ ممَّ تتكوَّن هذه الكفاءة؟ تلك هي الأسئلة الملازِمة لتصوُّرٍ لا يمثِّل إجماعًا. في الواقع، كما أنّ هناك سرديّات (Narratologies) كثيرة، فهناك سرديَّة (Narrativités) مُتعدِّدة[7]. لكنّ وجه الغرابة يكمن في أنّ السّرديات، بالمعنى الدّقيق، نادرًا ما تتبنّى سرديَّتها، على الرّغم من أنّها جليَّة. كنّا نودّ أن تخبرنا، بشكلٍ واضحٍ، أنّ الأمر يتعلَّق بتفرُّد الرّواية، المؤسَّس على العلاقات بين الحكاية والسّرد والمحكيّ، وعلى مجموعة مُعقَّدة من الطّرائق. والحال أنّ لا الشّعر ولا المسرح (ومعه الدراميَّة (La théâtralité)) يمتلك تلك الإمكانات التّكوينية والتي لا مناصّ منها. وفي المقابل، تناولت السّيميائية، بإسهابٍ، هذه المسألة، إلى درجة أن جعلتها اختصاصها؛ فقد فسَّرت جيّدًا، خلال مسارها، كيف تميَّزت عن المسار الآخر.

إنّ الاختلافات بين هذيْن المسارَيْن واضحة: ترتبط السّردية، في إحدى الحالات، بالمستويات الخطابيَّة والأجناسيَّة، وفي حالة أخرى، بالمستويات السّيميوسرديَّة (sémionarratifs)، وتتولَّد، في إحدى الحالات، من شكل التّعبير، وفي حالة أخرى، من شكل المحتوى (حسب مصطلحات يلمسليف (Hjelmslev)). ومع ذلك، لن نتفاجَأ، في وجود إمكانات ومقتضيات التّجريد التّخصُّصي، من هذه التّعريفات البسيطة والتّعميمية في الآن عيْنه: "... ثمّة سرديَّة حين يصف نصٌّ ما، من جهةٍ، حالة انطلاق في شكل علاقة امتلاك أو سَلْب مع موضوعٍ ذي قيمة، ومن جهةٍ أخرى، فعلًا أو سلسلة من الأفعال تُنْتِج حالة جديدة، تختلف عن حالة الانطلاق تمامًا"[8].

لا شيء، في الواقع، يمنع من المضيّ قدمًا وتتبُّع السّردية إلى غاية المربَّع السّيميائي ذاته، مادام أنّ هذا الأخير يُشكْلِن (Formalise) المسارات وليس الحالات. حينئذٍ، يكون لدينا سَعَة من الوقت للتّحقُّق من ملاءَمة هذه المعايير الدّنيا خارج الأدب، مهما كان شكلها أو درجتها. وببلوغ هذه المرحلة، لا تكون للسّردية أيّ علاقة بالأدبيَّة، ومن البديهيّ أن تكون للسّيميائية علاقة كبيرة بها. لقد ارتفعت بعض الأصوات ضدّ هذا الاستخدام المتعدِّد والمتماسِك الذي يستخفّ ويُقلِّل من أهميَّة ما يُلامسه، ويُختزَل إلى عمليَّات شكليَّة، ويتحوَّل إلى قطيعة[9]. لقد اقترح أمبرطو إيكو (U. Eco)، تحديدًا، إشْراك "القارئ المتعاوِن"[10] في مجال السّردية وقضاياها، ثمّ اضطلع هو نفسُه، مُؤخَّرًا، بالتّشكيك في اختلافاتنا العلميَّة بغية وضْع المسألة على محكّ التّجربة: "إنّ الرّواية، بوصفها جنسًا، يُمكِن أن تختفيَ، أمّا السّردية فلا. إنّها وظيفة بيولوجية"[11]، أكثر أهميَّة، إذًا، من الإنجاب.

السّرديات

إنّها علم المحكيّ. هل يُمكِن أن نقول أفضل من هذا، مادام أنّ لا المقارَبة "العلميَّة" ولا طبيعة المحكيّ نفسها[12] تُمثِّل إجماعًا. تمامًا كما في حال السّردية، هناك، إذًا، سرديّات كثيرة، حيث كلّ شيء يختلف: المعرفة

(L'épistémologie) مثل الموضوع، وهذا بغضّ الطّرْف عن المصطلحات والنّزوع إلى التّقليل من شأن المسألة. يُعرِب الكتاب الجديد لج. – م. آدم (J.- M. Adam)، مثلًا، عن أنّه "يروم أنْ يُدرِج في البحوث التي أسَّست السّرديات بوصفها نظريَّةَ المحكيّ..."[13]. وكان تودوروف (Todorov)، قبل خمسة عشر عامًا، قد أنْشَأَ المصطلح، من خلال مُواءَمته مع التّعريفات القريبة بالضّرورة: "نظريَّة السّرد"، و"علم المحكيّ"[14]، ثمّ مُطبِّقًا إيّاه في دراسة التّركيب السّردي. ولا شكّ أنّ هذه التّصوُّرات العمليَّة لم تكن، في عام 1969، مُتْقنَة جيّدًا ولا مُطوَّرةً بشكلٍ تامٍّ.

من بين اتّجاهات السّرديات، هناك اتّجاهٌ سنضعه جانبًا، ليس من دون أن نؤكِّد على التّداخُلات مع الأنواع التي تعنينا. يتعلَّق الأمر بما يُسمّيه ب. ريكور (P. Ricœur) "سرديّات كبرى، حيث يتمّ الاعتراف بالحقّ المُتساوي للمحكيّ التّاريخي ومحكيّ التّخييل"[15]. ولبلوغ هذه النّقطة، تمكَّن المُؤلِّف مِنْ أنْ يستنتِج أنّ وصْف التّاريخ (L'historiographie) – لاسيَّما الأنجلو – سكسوني – يستعين بعمليَّاتِ تشكيلٍ (التّحبيك (la mise en intrigue)) مُستعارَةٍ أو مُماثِلةٍ لتلك التي تخصّ التّجربة الأدبيَّة. ومن ثمّ، وببساطةٍ شديدةٍ، فإنّ كلّ وصْفٍ للتّاريخ يستفسِر عن طريقة تقديم حدثٍ يغدو سرديّات[16]، بل إنّ الدّقة التي غالبًا ما يتوخّاها يُمكِن أن تُلهِم التّحليلَ الأدبيَّ نفسَه.

بقي، هناك، تيّاران مُعاصِران ومُتعارِضان، تمامًا، نعرفهما، كذلك، بمصطلحات أخرى أكثر وضوحًا: الشّعرية السّردية والسّيميائية السّردية. على أيّ حال، لا يزال التّنافُس بين الاستعمالات والدّلالات قائمًا: في بداية سنوات السّبعينيات [من القرن العشرين]، فكَّر جينيت في سرديّاتٍ، بينما أعلن غريماس (Greimas) عن سرديّاته[17]. لاحقًا، ذهبت م. بال (M. Bal) في اتّجاه، وذهبت آ. إينو (A. Hénault) في اتّجاه آخر[18]. في الحقيقة، تكمن المشكلة في المصطلحات أكثر من الجوهر. وهنا، في الواقع، الأشياء واضحة: القائمون بالعمل، والأساليب، والمواضيع، والمعايير مُتميّزة بشكلٍ جليّ؛ فمن جهة، مشروع جينيت الذي يُعنى بالمحكيّ (بالمعنى الدّقيق للمصطلح)، وذلك التّفرُّد الرّوائي الذي يعترِض عليه "خصومُه"، بوصفه صوريًّا أو جليًّا جدًّا. ومن جهةٍ أخرى، مشروع غريماس الذي يهتمّ بمستويات أكثر عمقًا، حيث للحكاية (بالمعنى الدّقيق للمصطلح) حيّزها حتّى لو كانت مُفكَّكةً، فضلًا عن المواضيع المُتعاليَّة على الأجناس (Trans génériques) و، كذلك، المواضيع المُتعاليَّة على الأدب (Trans littéraires).

يتعلَّق الأمر، في الحالة الأولى، بالخطاب حول السّارد (Le narrant)، وفي الحالة الأخرى، بالخطاب حول المسرود (Le narré) وكلّ ما تتضمَّنه السّردية. كذلك، أليست هناك حاجةٌ إلى الاستغراب، في هذه الدّلالة الثّانية، حين يتمّ معرفة أنّ التّحليل السّيميائي للسّلوك الذّهاني جزءٌ من السّرديات أيضًا[19]. السّيمائية والسّرديات، إذًا، مُتكافِئتان. وفي الأخير، إذا لم تكن لدينا اختيارات أخرى سوى الاحتفاظ بهذا المصطلح الغامض بشكلٍ مُزْعِجٍ، فإنّ وضْعًا تصنيفيًا يفرض نفسَه: سرديّات صوريَّة وسرديّات عميقة (أو عامّة)، وسرديّات بالمعنى الدّقيق وسرديّات بالمعنى الواسع (lato sensu).

إحالات النص المترجم

(1) يُنظَر: في المحكيّ.

(2) Introduction à l'analyse structurale des récits, Communications, n° 8, 1966.

(3) في: La Rhétorique générale, Larousse, 1970.

(4) Sémiotique, dictionnaire..., I, Hachette, 1979, p 3.

حيث يُمكِن أن نضيف: "إذا نظرنا، الآن، إلى سرد من منظور تركيبيّ...". في:

F. Nef, Structures élémentaires de la signification, Complexe, 1976.

(5) «Introduction a l'analyse structurale des récits», p 21.

(6) Figures III, Le Seuil, 1972, p 228.

(7) بعضها خارج عن الأدب (فلسفيٌّ أو واصِفٌ للتّاريخ)، وقد اهتمّ به ب. ريكور منذ عشرة أعوام.

(8) A. Hénault, Les enjeux de la sémiotique, PUF, 1 979, p 145.

(9) يُنظَر: J. – M. Adam, Le récit, PUF («Que sais-je ?», n° 2149), 1987, p 120.

(10) Lector in Fabula, Le Livre de poche («Biblio essais»), 1989, p 9.

(11) يُنظَر: Le Nouvel Observateur, n° 1318, février 1990.

(12) يُنظَر: في هذا المصطلح.

(13) Le récit, PUF («Que sais-je ? », n° 2149), 1987, p 3.

وما يُزْعِج، في هذا الصّدد، تصويب صيغة المفرد في بقيَّة الدّراسة مع ذلك.

(14) Grammaire du Décaméron, Mouton, 1969, p 10.

(15) Temps et récit, II, Le Seuil, 1984, p 230.

(16) يُنظَر بخصوص هذا الموضوع: Temps et récit, I, Le Seuil, 1983, p 203 sq.

(17) في: Un problème de sémiotique narrative: les objets de valeur, Langages, n° 31, 1973.

(18) M. Bal, Narratologie, Klincksieck, 1977; A. Hénault, Narratologie, sémiotique générale, PUF, 1983.

(19) يُنظَر: A. Hénault op. cit, p 11.

مراجع البحث

Gérard – Denis Farcy: « Lexique de la critique », PUF, Paris, 1991, p 69 – 73.